

# تأثير الغزو الثقافي والعولمة

على دول مجلس التعاون الخليجي  
وعلاقتها مع العراق بعد ٢٠٠٣

الأستاذ المساعد الدكتور  
جاسم يونس الحريري  
جامعة بغداد - كلية العلوم السياسية



## تأثير الغزو الثقافي والعولمة على دول مجلس التعاون الخليجي وعلاقتها مع العراق بعد ٢٠٠٣

الأستاذ المساعد الدكتور  
جاسم يونس الحريري  
جامعة بغداد - كلية العلوم السياسية

### المقدمة:-

إذا كان الغزو الثقافي يعني غزو العقول لأمة ما من الأمم، من خلال زرع الافكار، والمذاهب الفكرية التي تزرع قناعات الشعوب، بقيمتها، وهويتها، فإن العولمة تمثل متغيرا ذو اتجاهات ثقافية، واقتصادية، وسياسية، فرضت نفسها في القرن العشرين، وامتدت تأثيراتها إلى بداية الالفية الثالثة، باعتبارها العامل الجيوثقافي الذي يجتاز الحدود بدون أذن أي دولة من دول العالم، ويلغي سيادة تلك الدول، عبر الاقمار الصناعية، لاختراق المجتمعات، ومنها المجتمعات الخليجية.

وتبعاً لذلك شهدت دول مجلس التعاون الخليجي تأثيرات خارجية، من خلال توظيف الوسائل التقنية للتواصل الاجتماعي (الفيسبوك، التويتر، البلاك بيري، الخ) للتأثير على المجتمعات الخليجية، حيث يعتبرها البعض أنها تمثل صورة من صور الغزو الثقافي لتلك المنطقة.

إن الواجب العلمي، والاكاديمي يحتم علينا أن نسمي الاشياء بأسمائها، وعليه فإن ما يسميه البعض بالغزو الفكري (الثقافي) يرتبط ارتباطا مباشرا بنشوء، وانتشار العولمة التي أصابت تداعياتها العالم أجمع، ولعل المنطقة الخليجية كان لها نصيبا مهما من هذا التأثير، بحيث كدنا نسمع بمصطلحات لم نألفها من قبل مثل ((الشعوب الخليجية متعددة الجنسية)) وحتى

((الشعوب الخليجية متعددة الثقافات))، وأصبحت التعددية هي سمة أبرز المدن الخليجية، ولعل تعتبر مدينة (دبي) شاهدا على ذلك، إذ تعولمت هذه المدينة بصبغة ثقافية، واجتماعية لافتة للنظر، حيث يعيش فيها بالإضافة إلى المواطنين الاماراتيين أكثر من ٢٠٠ جنسية من مختلف أرجاء العالم، تحمل ثقافات، وأديان، وعادات، وتقاليد مختلفة، لا يمكن التعرض لها بأي صورة من الصور، لان القوانين الاماراتية تكفل حرية المعتقد، والدين، حيث تؤكد المادة (٣٢) من الدستور الاماراتي على ((حرية القيام بشعائر الدين طبقا للعادات المرعية مصونة على ألا يخل ذلك بالنظام العام أو ينافي الآداب العامة))، والمادة (٤٠) تنص ((يتمتع الاجانب في الاتحاد بالحقوق، والحريات، المقررة في المواثيق الدولية المرعية أو في المعاهدات، والاتفاقيات التي يكون الاتحاد طرفا فيها، وعليهم الواجبات المقابلة لها)). ويبدو أن الجانب الاقتصادي هو الذي فرض دخول العولمة إلى دبي بشكل فعال، حيث تتطلب المشاريع الاعمارية للامارة استقدام الايدي العاملة من مختلف الجنسيات لانجاز تلك المشاريع، لكن بدأت تطفو على مجتمعات الامارة بعض المشاكل التي سببتها العولمة، والغزو الفكري الذي تتعرض إليه، فبدأت تتسلسل إليها القيم الغربية عن التقاليد، والأعراف العربية، والخليجية على وجه الخصوص، والتأثير على قناعات جيل الشباب، وحتى أن العائلة الاماراتية في هذه المدينة بدأت تقلق على الامن العائلي، والاجتماعي، والثقافي لها، بحيث أن الجيل الخليجي (الاماراتي) الجديد بدأ يعيش في بيئة يسمع فيها لغات غير لغته العربية، وبدأ يألف على تقاليد، وألوان ثقافية غريبة عليه، وتعيش معه عاملات، وعمال من جنسيات مختلفة لخدمته، وهذا التعايش بدأ يؤثر على وحدة العائلة، وتفككها.

## أهمية البحث:-

تتبع أهمية هذا البحث من عدة اعتبارات تكاد تشكل الركائز الأساسية له وهي بنظرنا ما يلي:-

### ١- أسباب جيوسياسية:-

إذا كان الغزو الثقافي، والعولمة لها بعض التداعيات السلبية على دول مجلس التعاون الخليجي، فأن تلك الدول، وبسبب مصالحها في العراق وظفت الغزو الثقافي، والعولمة، وربطتها بعولمة الامن الخليجي، بحيث بدأنا نسمع بمصطلح ((الامن الخليجي المعولم)) بسبب المشاركة الاجنبية في حماية الامارات الخليجية الستة من التهديدات الاقليمية، والدولية، وهذه الحالة أثرت على العلاقات العراقية - الخليجية بعد الغزو، والاحتلال الأمريكي عام ٢٠٠٣، حيث تم تسخير القواعد الخليجية لصالح غزو، واحتلال العراق، ناهيك أن العولمة، والغزو الثقافي استثمرته دول مجلس التعاون الخليجي بعد الاحتلال تجاه العراق، بسبب أدراك بعض تلك الدول بعدم أيمانها بالعملية السياسية في العراق، بحيث جعلتها توظف أي وسيلة لمنع وصول إفرزات المشهد السياسي العراقي إليها، وخاصة في مجال تداول السلطة عبر الانتخابات التي جرت أكثر من مرة في العراق (٢٠٠٥ - ٢٠١٠) لان دول مجلس التعاون الخليجي مبنية على قوانين الوراثة، وسيادة العرف العشائري، باعتبار رئيس الدولة بمثابة رئيس العشيرة، فأن التأيد له يعتبر جزء من الإرث العشائري لاحترام رأس القوم، إلا في حالة وفاته، فأن دفعة الحكم ستنتقل أوتوماتيكيا بموجب الدساتير الخليجية إلى أحد أبنائه، أو أحد أفراد عشيرته، لكن ما حدث في العراق كان له تأثير صاعق على النظام السياسي الخليجي التي تعودت عليه الشعوب هناك ذات التقاليد القبلية.

## ٢- أسباب استراتيجيتها:-

سخرت دول مجلس التعاون الخليجي الغزو الثقافي، والعمولة تجاه العراق عبر توظيف المواقع الالكترونية، والفضائيات الخليجية لاستهداف العملية السياسية، وإثارة طوائف المجتمع العراقي، والاكثر من ذلك أتبعته الدول الخليجية لمجلس التعاون على استخدام شبكات التواصل الاجتماعي المختلفة لا يصال رسائل إلى داخل العراق لتغيير القناعات بين طوائف المجتمع العراقي، واستمالة بعضها على البعض الاخر، وجعل الساحة العراقية تعيش تحت رحمة عدة أزمات داخلية من أجل أبعاد انعكاسات ما جرى في العراق بعد ٢٠٠٣ عليها كأحد أهداف استراتيجيتها هناك، لذلك وظفت بعض دول مجلس التعاون الخليجي الانترنت للتحريض على العنف، وغسل الادمغة، وبت الفتاوي الدينية ضد طائفة تجاه طائفة أخرى، لا بل وظف الانترنت للتشهير والإساءة ضد طائفة معينة في العراق.

## إشكاليات البحث:-

يحوي هذا البحث على العديد من الاشكاليات التي يمكن أن تفرز من خلالها العديد من التساؤلات المهمة التي يحاول هذا البحث الإجابة عنها وهي تتمثل بما يأتي:-

س:- ما هي تداعيات الغزو الثقافي، والعمولة على العلاقات الدولية؟

س:- ما هو تأثير الغزو الثقافي، والعمولة على دول مجلس التعاون الخليجي؟

س:- كيف وظفت دول مجلس التعاون الخليجي الغزو الثقافي، والعمولة تجاه العراق بعد ٢٠٠٣؟

س:- ما هو مستقبل علاقات دول مجلس التعاون الخليجي بالعراق في ظل

## الغزو الثقافي، والعملة؟

### فرضية البحث:-

بني هذا البحث على فرضية مفادها ((حاولت دول مجلس التعاون الخليجي بعد الاحتلال الامريكى للعراق في ٢٠٠٣ توظيف الغزو الثقافي، والعملة للتأثير على المشهد السياسى العراقى، لتجنب انتقال تداعيات ذلك المشهد عليها، وأحداث حراك داخلى شعبى خليجى يهدد الركائز الأساسية لنظمها السياسية، بعد أن تتطور المطالب الشعبية الخليجية من الإصلاح الداخلى إلى التغيير السياسى الشامل كما حدث فى العراق، ولاحقاً كما حدث فى تونس، ومصر، واليمن، وليبيا، أثر اندلاع الثورات العربية فى تلك الدول، وتنوعت وسائل التأثير الخليجى فى العراق لإحداث تغيير كامل فى القناعات الشعبية بالعملية السياسية، والدخول فى معترك الصراع الداخلى الذى يهدد الاستقرار، والأمن فى الساحة العراقية)).

### تداعيات الغزو الثقافى والعملة على العلاقات الدولية:-

قبل بيان تداعيات الغزو الثقافى، والعملة على العلاقات الدولية، نحتاج إلى تقديم فرشة متواضعة لتأصيل المفاهيم النظرية للبحث، ليتم الربط فيما بينهما لاحقاً، وبيان أثرهما على العلاقات الدولية.

#### أ- مفهوم الغزو الثقافى:-

يوجد هناك تعريف للغزو فى اللغة<sup>(١)</sup> فهو مصدر لفعل غزا، يغزو غزواً، وغزوة، وذلك أن العدو سار إلى قتالهم، وأصل الغزو كما يقول صاحب المحيط: الإرادة، والطلب، والقصد، واللقاح، ومن هنا يقال للمرأة التى غزا زوجها (مغزبة) ومنه تقول العرب أغزت الناقة (إذا عسر لقاحها)، والمغازي مناقب الغزاة.

والغزو اصطلاحاً<sup>(٢)</sup> هو الغزو العسكري، حيث تقوم دولة أو أكثر بغزو بلد، وأكثر بالسلح، والعتاد، والجنود. أما تعريف الثقافة، أو الثقافي في اللغة<sup>(٣)</sup>، حيث أن كلمة ثقافة لم ترد إطلاقاً في القرآن الكريم، ولا في السنة النبوية المطهرة، كما ترد في نصوص العرب، وأشعارهم، ولا في الجاهلية، وقد وصفها المعجم الوسيط بأنها كلمة محدثة في اللغة العربية، مما يدل دلالة قاطعة على أنه لم يكن لها عند العرب، والمسلمين ذلك الوزن اليوم.

أما تعريف الثقافة، أو الثقافي اصطلاحاً<sup>(٤)</sup> فقد عرفها بعض المفكرين المسلمين بأنها الرقي في الأفكار النظرية، وذلك يشمل في الرقي في القانون، والسياسة، والاحاطة بقضايا التاريخ المهمة، والرقي في الأخلاق، والسلوك. وعرفها بعض العلماء الغربيين من أمثال (هنري لاوست) أن الثقافة هي مجموعة الافكار، والعبادات الموروثة التي بتكون فيها مبدأ خلقي لأمة ما، ويؤمن أصحابها بصحتها، وتنشأ منها عملية خاصة بتلك الأمة تميزها عما سواها.

وتعددت تعاريف الغزو الثقافي اصطلاحاً، وبررتها بعض التعاريف بأنها تستهدف الدين، والأمة الإسلامية، ومن أبرز تلك التعاريف<sup>(٥)</sup>:-

**أولاً:-** هو غزو غير مسلح، وهو يمثل غزو للأفكار، والعقول، لتحقيق هدف عام، وهو أضعاف الإسلام، والمسلمين.

**ثانياً:-** هو زعزعة عقيدة الأمة، وثوابتها، وقيمها، والتشكيك في أحوالها من قبل أعداء الأمة.

**ثالثاً:-** عبارة عن تيارات، واتجاهات، ومذاهب ثقافية، وفكرية، تنتمي في الاصل إلى مجتمعات أكثر تقدماً، وتطوراً من المجتمعات العربية، وأنها تحمل بين ثناياها بذور السيطرة الثقافية، الاجنبية على

## الثقافة العربية.

رابعاً:- عبارة عن كل الافكار، أو المعلومات، أو البرامج، أو المناهج يستهدف صراحة أو ضمناً تحطيم مقومات الأمة الإسلامية، سواء العقيدية، أو الفكرية، أو الثقافية، أو الحضارية، أو يتحرى التشكيك فيها، والخط من من قيمتها، وتفضيل غيرها عليها، وأحلال سواها محلها في الدستور، أو مناهج التعليم، أو برامج الاعلام، والتثقيف، أو الاداب، والفن، والنظرة الكلية للدين، والإنسان، والحياة.

## ب- مفهوم العولمة:-

يتركز مفهوم العولمة بحسب بعض الدراسات الاكاديمية على ما يأتي<sup>(٦)</sup>:-

أولاً:- استخدام التضليل الاعلامي، عبر نشر أشاعات، والمعلومات المقبركة، والتشكيك في أفكار الاخرين، والتقليل من شأنها، ونقلها عبر وسائل الاعلام المرئية، والمسموعة، ومحطات التلفزة الفضائية.

ثانياً:- تحييب أنموذج ثقافي معين، وتصديره إلى الشعوب الأخرى، لتقبله، وتفضيله على الخصائص الذاتية للشعوب.

ثالثاً:- نشر القيم الاخلاقية، والسياسية، والاقتصادية التي تستهدف أختراق الشعوب الأخرى، خاصة التي لاتلائم ثوابتها الدينية، والاخلاقية، والاعتبارية.

رابعاً:- تأليب، وتأجيج الجماعات الاثنية، والطائفية، عبر شحن الانقسامات، وخلق تصادم بينها وبين حكوماتها.

خامساً:- أستغلال القيم السامية للإنسانية للاغراض السياسية، وجعلها منفذا للتدخل في الشؤون الداخلية للدول الأخرى، وخاصة دول

العالم الثالث، ومنهم على سبيل المثال لالحصر (حقوق الإنسان، الحريات السياسية، والمعرفية الخ).

وتستخدم العولمة للإشارة إلى (٧):-

### **أولاً: تكوين القرية العالمية:-**

أي تحول العالم الكبير إلى مايشبه القرية لتقارب الصلات بين الاجزاء المختلفة من العالم، مع ازدياد سهولة أنتقال الافراد، التفاهم المتبادل، والصدقة بين سكان الارض.

### **ثانياً:- العولمة الاقتصادية:-**

تعني ازدياد الحرية الاقتصادية، وقوة العلاقات بين أصحاب المصالح الصناعية في بقاع الارض المختلفة.

### **ثالثاً:- التأثير السلبي للشركات الربحية متعددة الجنسيات:**

استخدام الاساليب القانونية المعقدة لمراوغة القوانين، والمقاييس المحلية، لاستغلال للقوى العاملة، والقدرة الخدمائية لمناطق متفاوتة في التطور، مما يؤدي إلى استنزاف أحد الاطراف (الدول) في مقابل الاستفادة، والربحية لهذه الشركات.

### **ج- تأثير الغزو الثقافي والعولمة على العلاقات الدولية:-**

وبعد أن تعرفنا بصورة وجيزة على مصطلحي الغزو الثقافي، والعولمة، يمكن أن نثبت تداعياتهما على العلاقات الدولية، وكما يأتي:-

**أولاً:-** أن الغزو الثقافي والعولمة يلتقيان في مهمة واحدة هي اختراق المجتمعات الأخرى في دول العالم قاطبة، لا يصال قيم، وثقافات تحاول من خلالها توحيد النسق الثقافي، والسياسي دولياً، لان

((أقصر السبل لتوصيل رسالة العولمة، هي الجوانب الفنية، والثقافية، فعن طريق الانترنت، وعن طريق فن السينما، وعن طريق المسرح، وعن طريق الاغنية يمكن تحقيق رسالة العولمة في مخاطبة العالم خطابا مفهم، بل وتتوحد الرؤى، وتتلاقى الاهداف، وتمحى الاختلافات، وتتقارب الازواق، وأن تحقق ذلك على حساب الجنسيات، أو اللغات، أو حتى على مستوى الموقع الجغرافي))<sup>(٨)</sup>.

ثانياً:- يمكن أن تكون العولمة، والغزو الثقافي في نسق واحد، بعد أن يوصلان نمط فكري معين، يهدف إلى ((سيادة ظواهر، وسياسات مرتبطة بجوانب الحياة الاقتصادية، والسياسية، والاجتماعية، والثقافية في جميع أنحاء العالم، وتكون هذه السيادة للفئة الاقوى في العالم، وتأخذ شكل السيطرة سواء أكانت هذه السيطرة جزئية أو كلية))<sup>(٩)</sup>.

وتحذر بعض الدراسات من مخاطر الغزو الثقافي، والعولمة، وخاصة على المنطقة العربية التي بدأت تترسخ داخلها من خلال بعض الاشارات المهمة لعل من أبرزها<sup>(١٠)</sup>:-

أولاً:- أبرز ما يجسد تأثير العولمة على ثقافات المجتمعات الأخرى هو الانتشار الواسع والكبير لشركة (كوكولا)، والمطاعم (الهامبورغر) و(المكدونالدز) هذه الاخيرة التي تعتبر واحدة من أكبر المطاعم التجارية الامريكية، وهي رمز الامبريالية الراسمالية الامريكية، فهذه العلاقات التجارية تقدم وجبات سريعة، لا تتيح للزبائن الجلوس لفترات طويلة، ومن هنا أقتنعت من كونها نظاماً لبيع الطعام السريع إلى نمط حياة، وذلك من خلال نظامها الذي قضى على العلاقات البشرية التي لم تعد بين الإنسان وأخيه بمفهوم التفاعل المباشر، بل

هي محكمة بقضايا مادية، مما تسبب في أختفاء الحميمية في العلاقات.

**ثانياً:-** ساهمت وسائل الاتصال، والاعلام بشكل كبير في أنتشار العمولة في المجال الثقافي، وتتجلى هذه المساهمة في القنوات التلفزيونية، والفضائية التي بواسطتها يتم بث أفلام، ومسلسلات، وموسيقى، تمثل سلوكيات العنف، والجنس بشكل أباحي يتناقض مع العفة في المجتمعات العربية المحافظة.

وبالرغم من كل ذلك توصي بعض الدراسات بضرورة التعامل مع الغزو الثقافي، والعمولة ليس من خلال الانكماش، والانطواء بل ((يمكن التفاعل مع العمولة على أنها تطور هائل في التقنيات، ووسائل المعرفة، وأن التطور ليس موجه ضدنا بالضرورة، وإنما هو لصالحنا إن نحن أستخدمناه بشكل سليم يمكننا من الحفاظ على هويتنا الثقافية في ظل تعاطي أيجابي مع العالم، والمستجدات الدولية في هذا المجال))، والاكثر من ذلك ترى تلك الدراسات أن الدول العربية لا يمكنها ((أن تمنع العمولة الثقافية في الانتشار، لانها ظاهرة واقعية تفرض نفسها بحكم النفوذ السياسي، والضغط الاقتصادي، والتغلغل المعلوماتي، والاعلامي التي يمارسها النظام العالمي الجديد))<sup>(١١)</sup>.

### **تأثير الغزو الثقافي والعمولة على دول مجلس التعاون الخليجي:-**

تؤشر الدراسات الاكاديمية بعض من تأثيرات الغزو الثقافي، والعمولة على دول مجلس التعاون الخليجي، إذ تؤكد تلك الدراسات أن ((عمليات العمولة فرضت على مجتمعات الخليج العربي واقعا اقتصاديا جديدا تتحرك في أطاره، إلا أنها وفي الوقت ذاته قد عمقت بهذا الواقع الاقتصادي الجديد، وفضائه الثقافي، والسياسي، وربما الاجتماعي من مآزق المجتمع، ومشكلاته إن لم يكن

قد ساهمت في خلق الجديد من المشكلات والمعضلات))<sup>(١٢)</sup>. ومن ناحية أخرى برزت بعض المشاكل، والازمات الاجتماعية التي أصابت المجتمعات الخليجية جراء الغزو الثقافي، والعولمة ولعل ((بروز مشكلات اجتماعية جديدة وأخرى طارئة، وأحدثت نتيجة لذلك خلا عميقا في بنية ووظائف المؤسسات الاجتماعية القائمة أبرزها تلك التحولات التي أصابت بنية الاسرة، ووظائفها، كما أنها قد عدلت من بنية، ووظيفة، ودور مؤسسة الزواج في المجتمع بالعلاقة بين الزواج من ناحية، والابناء، وآبائهم من ناحية أخرى، ورغم أننا لانستطيع هنا التحدث عن أنتهاء العائلة الابوية في المجتمع الخليجي من حيث استمرارية سلطة، وهيمنة الذكورة على أمور، وشؤون العائلة الخليجية، والمجتمع، إلا أننا مع ذلك بإمكاننا تتبع بعض المؤشرات الدالة على أفول أو بداية أفول العائلة الابوية، ومن المهم التأكيد هنا أن التغيرات التي أصابت الاسرة في الخليج أو تلك التي تحدث لا يمكن عزوها إلى قوى، وعمليات العولمة فحسب، وإنما فهمنا لذلك يقوم على حقيقة أن العائلة الخليجية تتعرض لضغوط تكيفية كانت قائمة بالفعل في السابق، إلا أن قوى، وعمليات العولمة قد دفعت نحو تفاقمها بدرجة كبيرة))<sup>(١٣)</sup>.

وتؤشر بعض الدراسات بعض ملامح تأثير الغزو الفكري، والعولمة على المجتمعات العربية ومنها على المجتمعات الخليجية، من خلال الغاء الخاص، وأحلال العام المعولم عليه، وأستغلال ذريعة الاصلاح لتتبناها المجتمعات الخليجية كنوع من التغيير المطلوب أحداثه فيها بعد سنوات من المحافظة على الوضع الراهن ((فالخصوصي الذي طالما ركزت عليه السلطات، والادارات، والمنظمات الرسمية العربية يظل مستحضرا إلى حد الان. فقبل موجة الانخراطات الحالية العربية في ما تسميه هنا معاملة، سلطوية، إدارية للعولمة غير مطمئنة، كانت الخصوصيات تعني أن هناك مواقع داخلية للاصلاح السياسي

- الاداري، وفي هذا الزمن المعولم تشترك السياسات، والادارات العربية، والغربية في العديد من المعتقدات المؤسسة على أرثها الخصوصي والخاص للعالمي، وعلى وجوب حدوث شي ما من الاصلاح كي تصبح الولايات المتحدة الامريكية شريكا لامهيمنا وحيدا في سوق العملة السياسية، الادارية للعالم، غير أن المعاملة العربية على هذا المستوى تختلف بفعل الخصوصيات دائما عن المعاملة الغربية، فالمؤثرات العالمية في المنطقة العربية أريد لها أن تطمس المؤثرات الداخلية بما فيها علاقات السلطات التقليدية الثلاث، وصعوبات، بل مخاطر الاستنساخ الحرفي على البيئة المستقبلية)<sup>(١٤)</sup>.

وبعد الثورات العربية عام ٢٠١١ والتي عرفت ب(الربيع العربي) كانت وسائل العملة حاضرة في المحيط الخليجي، حيث أثرت على الشارع الخليجي، ودفعته للتظاهر ضد حكوماته الوراثية التي مسكت الحكم لعشرات السنين بدون تغيير هيكلية فيها ((فالاترنت، وأدوات العملة الأخرى تصبح هي السلطة الاصلاحية الاولى، وهذه الادوات تؤسس، وتروج في الدرجة الاولى للتخليق العام، وهذا المبدأ يخفي وراءه تقريبا للتخليق الجدي للممارسات السلطوية)<sup>(١٥)</sup>.

وتؤكد بعض الدراسات أن العملة أخترت منطقة الخليج العربي، وخاصة في دول مجلس التعاون الخليجي حتى في مشاريعهم السكنية، إذ أنه ((وبسبب من الثروة النفطية على الاغلب تحولت عدة دول بما فيها العربية السعودية من جيوب سكنية، صغيرة تحيطها الصحراء إلى مدن حديثة في الستينات، والسبعينات. وقد دعي مخططون، ومعماريون أجانب إلى العربية السعودية للتعويض عن النقص المبدئي في الخبرات المحلية، إلا أن عملهم رمز أيضا إلى النجاح الدولي، والاقتصادي الجديد الذي حققه البلد على مستوى عالمي. وقد جرى تحول لا يقل أثاره في دبي التسعينيات، غير أن هذا التطور غير

المسبوق بسرعته، وضع الثقافة، والتقاليد المحلية في مجرى هائل من التغيير المتواصل، وبدأ أن وفرة المباني الزجاجية، المبردة في بيئة صحراوية جعلت مواطنين عربا سياحا في مدنهم))<sup>(١٦)</sup>.

ويبدو أن من ضمن تأثيرات العملة على دول مجلس التعاون الخليجي دخول الاستثمار الاجنبي اليها، وهي تعمل على أستقطابه، وهي تعمل ((منذ وقت مبكر في ترتيب أولوياتها للاستفادة من فرص العملة، والحصول على أكبر قدر من المكاسب، وتأهيل أقتصاداتها للوصول إلى الكفاءة الانتاجية، والحصول على أصناف أكثر من المنتجات بأسعار تنافسية، فضلا عن قدرتها على أجتذاب الاستثمارات الاجنبية، والتقنية المتطورة، والمعلوماتية، وصولا إلى رفع مستوى الانتاج، وتحسين نوعية الحياة، في المقابل تحاول دول مجلس التعاون التقليل من المخاطر، وتخفيف التحديات التي تفرزها العملة الاقتصادية، منها تقليل الاضرار التي ستلحق بالمنتجين الوطنيين غير القادرين على المنافسة، أو صيانة أستقلالية سياسات مالية، وأقتصادية وطنية))<sup>(١٧)</sup>.

وكنوع من التأقلم مع تأثيرات العملة ((تكافح دول مجلس التعاون الخليجي كغيرها من الدول النامية لاستقطاب الاستثمار الاجنبي، المباشر، وغير المباشر، وذلك بعدة وسائل، منها إعادة صوغ تشريعاتها الاقتصادية بما يخدم أستراتيجيات الاستثمارات الاجنبية، فضلا عن إعادة هيكلة أقتصادياتها، وأعطاء أدوار أكبر لمؤسسات القطاع الخاص، مع إعلانها تبني سياسات الشفافية، ومحاربة تبيض الاموال غير الشرعية، ووضع القيود لمنع أستعمال الفساد المالي، والاداري، بجانب توافقها مع معظم سياسات، وبرامج صندوق النقد الدولي، والبنك الدولي في تقليص أنتاجها العام، وتحرير أسواقها، وتغيير تدفقات الاستثمار الاجنبي إحدى المظاهر الرئيسية لحركة العملة الاقتصادية، كما تعتبر هذه الاستثمارات بالنسبة لجميع الدول النامية إحدى

مصادر التمويل الخارجي لمشروعاتها الداخلية، إذ حلت محل القروض المصرفية، والمساعدات الرسمية للتنمية))<sup>(١٨)</sup>.

وترصد بعض الدراسات تأثيرات العملة على الاقتصاد الخليجي من خلال جر ذلك الاقتصاد إلى تبني سياسات الخصخصة، التي تعني ((مجموعة السياسات المتكاملة التي تسعى إلى الاعتماد الاكبر على اليات السوق، ومبادرات القطاع الخاص، والمنافسة من أجل تحقيق أهداف التنمية، والعدالة الاجتماعية))<sup>(١٩)</sup> وكذلك فإن الخصخصة تبغي أيضا إلى ((تحويل للاصول من الدولة إلى القطاع الخاص يقترن بعملية جذرية لاعادة تخصيص الموارد الانتاجية المتاحة، وأعادة هيكله الاطار المؤسسي القائم الذي تجري فيه عملية الانتاج، والاخذ بأساليب جديدة لادارة الشركات متحررة من أشد أنواع التدخل السياسي))<sup>(٢٠)</sup>.

ونتيجة إلى ذلك بدأ الاقتصاد الخليجي يواجه ثلاثة أنواع من الاقتصادات الدولية وهي<sup>(٢١)</sup>:-

#### **أولاً: أقتصادات دولية international :-**

وفيها تبادل تجارب محدود، وثنائي في أغلبه، والتوجه الرئيسي في السياسات الاقتصادية نحو الداخل.

#### **ثانياً: اقتصاد حول العالم World –Wide :-**

وفيه توجه نحو التعددية في التجارة، والاستثمار خارجيا، إلا أنها تنطلق من قاعدة محلية في وطن أم.

#### **ثالثاً: - اقتصادات عالمية Globalization :-**

فيها توسع أعظم في التعددية التجارية، والاستثمار، لكن تنخفض فيها

أهمية الاقتصاد الوطني. وقد أتخذت دول مجلس التعاون الخليجي بعض الخطوات للتكيف مع العولمة من الناحية الاقتصادية، حيث يعتبر((القرار الصادر عن منحة مجلس التعاون في قمة الدوحة لعام ٢٠٠٨ حول إنشاء السوق المشتركة يعد انطلاقة تاريخية، وخطوة شجاعة نحو تحقيق التكامل بين دول المجلس على غرار ما تهدف اليه العولمة لتحقيق التكامل بين دول العالم، وبما يحقق وعلى المدى البعيد أستعادة التوازن، والعدالة بين شعوب تلك الدول تتقاسم المشترك بعيدا عن الهيمنة، والاستقلال لثروات تلك الشعوب بوحى من الانانية البغيضة التي سادت في القرن الماضي وما قبله خلال حقبة الاستعمار التي أدت إلى أمتصاص ثروات تلك الشعوب المستعمرة (بفتح الميم) من قبل قلة من تلك الدول المستعمرة (بكسر الميم))((٢٢).

ويبدو أن العولمة أثرت على عولمة الامن الخليجي من خلال بعض الاحلاف حيث ((ركز الناتو جهوده في أطار أستراتيجيته الجديدة هو التي يمكن تسميتها حرب العقائد، والافكار على التنسيق، والحوار مع الدول خارج الحلف، والبدء في أستخدام سياسة القوة الناعمة أو الذكية كما أسمتها وزيرة الخارجية الامريكية هيلاري كلينتون باستخدام أدوات جديدة مثل برنامج (حوار الاطلس المتوسط) والذي يستهدف التوصل إلى مرحلة الشراكة مع ٦ دول عربية (موريتانيا، المغرب، تونس، الجزائر، مصر، الاردن)، بجانب (اسرائيل) لتشمل دولا أخرى من بينها دول الخليج بهدف خلق ما يسمى ب(ناتو شرق أوسطي)، وقد دفعت تلك السياسة الذكية إلى توقيع البحرين أتفاقية أمنية مع حلف الناتو عام ٢٠٠٨ وهي ثاني أتفاقية أمنية يوقعها الحلف مع دول الخليج، إذ وقعت الكويت أتفاقية مماثلة عام ٢٠٠٧، وتأتي تلك الاتفاقيات ضمن أطار مبادرة أسطنبول للتعاون التي أطلقها الحلف للتعاون مع دول المنطقة سنة ٢٠٠٤، ووافقت على المشاركة فيها أربع

دول خليجية هي (قطر، البحرين، الكويت، الامارات) وأحتوت تلك المبادرة على أكثر من ١٦٠ مجالا للتعاون الامني لدول الخليج، وهي جميعها تدور حول التعاون في مجال الاستخبارات، وتبادل المعلومات، وقد أنعكست سياسة القوة الناعمة هذه على رغبة دول الخليج العربي للدخول في شراكة استراتيجية مع حلف الناتو انطلاقا من وعي هذه الدول بأن عولمة أمن الخليج أصبحت حقيقة مؤكدة نتيجة للتطورات المتسارعة في المنطقة، وأتساع نطاق التهديدات، وتنوع الاخطار)) (٣٣).

وتفسر بعض الدراسات سبب أهتمام الناتو بمنطقة الخليج العربي، لان الناتو يؤمن أن ((الخليج العربي له أهمية كبيرة لعدة أسباب أبرزها بلاشك النفط، وتأمين موارده، وخطوط أنتقاله، وتنتج دول الخليج العربي يوميا ٢٦ مليون برميل وتتوقع أوبك أن يزيد هذا المعدل عام ٢٠٢٠ إلى ٣٥ مليون برميل يوميا، ويوجد في الخليج العربي أيضا مايقرب من نصف أحتياطي الغاز في العالم، حيث تستحوذ كل من إيران، وقطر، والمملكة العربية السعودية، والامارات العربية المتحدة على مراكز من الثاني إلى الخامس من أحتياطي الغاز في العالم، لكن النفط ليس هو المتغير الوحيد الذي يفسر أهتمام الناتو بمنطقة الشرق الاوسط، فمواجهة الجماعات الإسلامية الأصولية، ومنع حصولهم على أسلحة الدمار الشامل، من الأسباب الأخرى لاهتمام الناتو بمنطقة الخليج العربي. ويسعى الناتو لتنظيم أعماله، وأجراءاته في المناطق المعنية، ومن بينها الخليج العربي خصوصا مع ظهور الحوار الامني لمكافحة الارهاب، وبالتالي يحاول الناتو إزالة أي خطر من قبل هذه الجماعات، والمنظمات، هذه الاخطار ذات أهمية بالغة لدرجة أنها ألفت بظلالها على معايير الناتو في مجال حقوق الإنسان، والديمقراطية، ولقد صرح أمين عام الناتو بأنه ((على الرغم من أن الدول المتعاونة مع الناتو في الخليج العربي

لا تتمتع بمعايير جيدة في مجال حقوق الإنسان، فأن الناتو سيواصل تعاونه معها في مجال محاربة الارهاب))<sup>(٢٤)</sup>.

وأخيراً ترى بعض الدراسات ((أن قدوم الناتو إلى منطقة الخليج العربي يعني محاصرة إيران استراتيجياً، لأن الناتو قد سعى بوجود قواته في أذربيجان في شمال إيران، وتركيا، والعراق في الغرب، وأفغانستان في الشرق، والخليج العربي في الجنوب إلى محاصرة إيران من كل جانب، وعلى الرغم من تعاون طهران مع الناتو في بعض المجالات في أفغانستان، لكن من الواضح أنه لا يمكن اعتبار إيران صديقة للناتو))<sup>(٢٥)</sup>.

### توظيف دول مجلس التعاون الخليجي الغزو الثقافي والعملة تجاه العراق بعد ٢٠٠٣:-

حاولت دول مجلس التعاون الخليجي أن تسخر الغزو الثقافي، والعملة تجاه العراق بعد ٢٠٠٣ من خلال بعض الوسائل:-

#### ١- شبكات التواصل الاجتماعي في الانترنت:-

تشير التقارير الاكاديمية الرصينة أن ((مستخدمي الانترنت في دول الخليج العربي بلغ ٢٣٪ من مجموع مستخدمي الشبكة في الدول العربية كافة، بالرغم من أن تعداد سكان هذه الدول لا يتعدى ١٣٪ من سكان الدول العربية مجتمعة، وقد يعود هذا إلى أن سكان دول الخليج العربية يتمتعون بقوة شرائية مرتفعة نسبة لمواطني دول المنطقة، كما تمثل الجاليات الاجنبية التي تستخدم الانترنت بكثافة نسبة ملموسة من قاطني هذه الدول))<sup>(٢٦)</sup>.

وقد استغلت دول مجلس التعاون الخليجي شبكات التواصل الاجتماعي (الفيسبوك، التويتر) للنفوذ إلى العراق لتغيير القنوات للجمهور، وأحداث عدم ثقة بالواقع السياسي، واستغلال فترة الاحتلال الأمريكي لزيادة العنف،

وعدم الاستقرار، وإيجاد الوقعة بين الكتل السياسية، لان هذه الوسيلة بها بعض التسهيلات، منها سهولة الاتصال مع أي شريحة في العراق، وارسال ما تريده دول الخليج ارساله من رسائل إلى الجمهور العراقي، والعمل على كسب المريدين لهم، وإيجاد قنوات تظهر رفض الواقع العراقي، حتى بعد الانسحاب الأمريكي، وإبقاء المشهد العراقي في حالة عدم الاستقرار، لاسيما أن شبكات التواصل الاجتماعي في الانترنت تمتاز ((بثقافة الحرية، والمجانية، والانفتاح على المساهمات الإعلامية، واللامركزية. فالنفاذ بلا قيود، وإلى الأخبار، وحرية تبادلها، وملكية الهكليات تشكل جميعها شروطاً لا غنى عنها لتحقيق هذا المشروع المثالي، علما بأن تطور الاربايت إلى الانترنت (شبكة الشبكات) أثر اختراع بروتوكول التحكم بالارسال /بروتوكول الانترنت TCP/IP لا يهدد هذا الشعور غير النظامي المشترك نظراً إلى سهولة تجمع (متصفح الانترنت) ضمن مجموعات مصلحة إنسانية البعد))<sup>(٢٧)</sup>.

وبنفس الاتجاه تسعى دول مجلس التعاون الخليجي استغلال بعض المميزات في الانترنت لتوظيفها، لإيجاد جمهور يمكن الوصول إليهم لممارسة نوع من التأثير عليهم، وخلق قنوات بعدم الثقة بمستقبل العملية السياسية، خشية من انتقال تطورات التجربة العراقية إليهم، حيث ترى دول الخليج العربية في الانترنت أفضل وسيلة لاخترق الساحة العراقية، خاصة بعد انتشار استخدام الانترنت في العراق بعد الاحتلال الأمريكي، لان دول مجلس التعاون الخليجي تركز على الانترنت بعد نمو ((ثقافة المجانية أسلوباً ينتهجه رواد الأنترنت لابقاء مشروعهم المثالي، التحرري حياً، وهو مشروع المساحة العامة، النافذة، والشاملة، والاهم أن هذه الثقافة تقدم فرصة ابتكار أشكال جديدة لتمويل ثقافة المعرفة، وإنتاجها الجماعي))<sup>(٢٨)</sup>.

وترى بعض الدراسات أن دول مجلس التعاون الخليجي تسخر أدوات

التواصل الاجتماعي للتواصل مع طائفة معينة في العراق لكسبها إلى جانبها، وجعلها ورقة خليجية، مريحة لدعم نظمها السياسية التي تسيطر عليها نفس الطائفة التي تسيطر على تلك الانظمة، حيث ترى دول الخليج العربية أن الانترنت هو الوسيلة المناسبة للتحرك على هذه الطائفة بدون قيود، ومتابعة من قبل الاجهزة الحكومية العراقية، ووسيلة ملائمة للاتصال بأقل تكلفة لها، خاصة بعد ((التطور الهائل في تكنولوجيا الاتصال، والانتقال، والذي قلل إلى حد كبير من أثر المسافة، وانتشار أدوات جديدة للتواصل بين أعداد أكبر من الناس، كما في شبكة الانترنت، وأعطت هناك مجالاً واسعاً لزيادة الصلات غير الحكومية، والتنسيق بين المصالح المختلفة، حيث برز التعاون Networking للأفراد، والجماعات فيما يسمى الشبكات الدولية استناداً للمصالح المشتركة بين الجماعات غير القومية، مما أفرز تحالفات بين القوى الاجتماعية على المستوى الشعبي))<sup>(٢٩)</sup>، والتقارب المذهبي، والطائفي.

وتركز دول مجلس التعاون الخليجي استغلال التواصل مع الجمهور العراقي، وخاصة في حوارات دينية طائفية عبر الفيسبوك، والتويتر، واستغلال كون الحوار يدور في الأمور الدينية أصبح شائعاً في الوقت الراهن، وعطش الجمهور العراقي لاقتناص أية فرصة في شبكات التواصل لاستقبال الأفكار ذات الصبغة الدينية، وإعطاء هذا الأمر اهتماماً خاصاً، وأدراك دول المجلس حاجة الجمهور العراقي لهذا الخطاب، وامكانية الكسب المجاني للمريدين لها من خلال هذا المنفذ، لكن ليس بهذه الصورة المثالية، وإنما من خلال تفعيل الفصل الطائفي بين شرائح المجتمع العراقي، ومحاولة كسب بعض الطوائف لصالحها، وإيجاد الوقعة مع الطوائف الأخرى.

وتطور الأمر إلى حدوث اختراقات الكترونية تقوم بها بعض المواقع الخليجية للمواقع العراقية الحكومية المهمة في شبكة الانترنت من الطائفة

الأخرى غير الحاكمة في دول مجلس التعاون الخليجي، وتسرد بعض الدراسات طبيعة هذا الاصطدام الالكتروني، ونعته من كونه يمثل ((صراع سياسي، طائفي، من خلال النافذة التكنولوجية، المعلوماتية، حيث أصبح اختراق مواقع الانترنت، وتوصيل الرسائل السياسية، والدينية من كل طائفة للطائفة الأخرى هو أحدث أشكال الصراع، وأكثرها وضوحاً، إلى جانب الحرب الإعلامية، كما أن تحقيق نجاح ما في تحديد واختراق مواقع الانترنت، وتدميرها، إلا رمزاً أو مؤشراً لهذا التفوق))<sup>(٣٠)</sup>. وقد ظهرت بعض الحالات تكشف عن وجود اختراقات الكترونية خليجية للمواقع العراقية، حيث أخترق متسللون الموقع الالكتروني الرسمي لرئيس الوزراء العراقي نوري المالكي، وقاموا بنشر رسالة تنتقده على صفحته الرئيسية تحمل توقيع قراصنة الكترونيين من الكويت، كما تعرض موقع المركز الوطني للإعلام التابع للأمانة العامة لمجلس الوزراء للقرصنة الالكترونية من قبل مجهولين<sup>(٣١)</sup>.

#### ب- وسائل الإعلام الخليجية:-

سخرت وسائل الإعلام الخليجية المختلفة المرئية، والمسموعة، والمقروءة، لنشر الفتاوي الدينية التي تستهدف طائفة معينة تجاه طائفة أخرى في العراق، وهذا ما يشجع على العنف الطائفي، وانتشار الاحتراب الداخلي الذي عانى منه العراق بين عامي ٢٠٠٥-٢٠٠٨ ولا زالت هذه الاشكالية تؤرق العلاقات العراقية - الخليجية.

ويبدو أن دول مجلس التعاون الخليجي بعد أن تلقت عدة ضغوط أمريكية للحد من الفتاوي التكفيرية، وتأثيرها على العراق بعد الاحتلال الامريكى سعت إلى مغازلة واشنطن ببعض الخطوات لاثبات حسن توافقها مع الاستراتيجية الامريكية في العراق، حيث نشرت صحيفة الشرق الاوسط في الحادي عشر من أبريل ٢٠١٠ خبراً مفاده بقيام هيئة كبار العلماء في السعودية في

بحث موضوعين من أهم الموضوعات المطروحة على الساحة هما تمويل الارهاب، وفتاوي التكفير، وأكدت نفس الصحيفة الاشارة إلى ((مقترح مجلس الشورى دعا مقدمه الدكتور زهير الحارثي إلى تبني قانون ونظام يحرم فتاوي التكفير، وأكدت مصادر سعودية أن دعوة أعضاء مجلس الشورى السعودي ركز على موضوع فوضى فتاوي التكفير التي تصدر من خارج المؤسسة الدينية الرسمية، وأكدت مصادر مسؤولة أن الدكتور زهير الحارثي عضو لجنة حقوق الإنسان في مجلس الشورى برر تقديمه لهذا المقترح للمجلس، لأنه بدأ يؤثر على العلاقات الخارجية التي تربط السعودية بدول العالم، والانتقاص من هبة نظام الدولة))<sup>(٣٢)</sup>.

وقد أستمر العراق التنبيه من الفتاوي التكفيرية، حيث نبه إلى هذا الوسيلة، ومخاطرها على مجرى العلاقات بين الطرفين، وفي إشارة لخطورة ذلك بحث رئيس الوزراء العراقي نوري المالكي في السادس عشر من آذار/مارس ٢٠١٣ مع سفراء الدول العربية المعتمدين لدى العراق سبل تطوير العلاقات مع دولهم، بالإضافة إلى موضوع الارهاب، والتطرف وأثرهما على أمن، واستقرار المنطقة العربية، ونقل بيان لمكتب رئيس الوزراء عن المالكي قوله ((أن العلاقات بين الدول العربية لا بد أن تكون مبنية على أسس الاخوة، والتعاون، والتشاور، وتبادل المصالح، وعدم التدخل في الشؤون الداخلية لبعضنا البعض، أما الاختلاف فهو من طبيعة البشر، وعلينا إيجاد آلية لإدارة الخلاف، والتأكيد على المشتركات التي تجمعنا))، كما أكد المالكي على ((ضرورة أن تكون الهوية الوطنية فوق الانتماءات الأخرى، مع احترام جميع الانتماءات، والمعتقدات، واحترام التنوع الديني، والقومي، والطائفي، والتمسك بالحوار، ونبذ الارهاب، والعنف، والتطرف بجميع أشكاله، وصوره))، وحذر المالكي من مخاطر الفتاوي التكفيرية، وفتاوي القتل،

واستباحة دماء الأبرياء التي تروج لها بعض وسائل الإعلام<sup>(٣٣)</sup>.

### مستقبل العلاقات العراقية - الخليجية في ظل الغزو الثقافي والعملة:

إن رسم ملامح مستقبل العلاقات العراقية - الخليجية في ظل الغزو الثقافي، والعملة يتطلب طرح سيناريوهين الاول أمكانية تأثير الغزو الثقافي، والعملة على العلاقات العراقية - الخليجية، والثاني عدم أمكانية تأثير الغزو الثقافي، والعملة. وسيتم بحث مفصل حول بنيان، وأركان هذين السيناريوهين.

### أ- سيناريو تأثير الغزو الثقافي والعملة على العلاقات العراقية - الخليجية:-

بالرغم من تحسن العلاقات العراقية - الخليجية في السنوات الأخيرة، إلا أن استمرار المشهد العراقي بالنمو، وصراع الارادات الإقليمية، والدولية فيه تجعل دول مجلس التعاون الخليجي أن يكون لها نفوذها داخل العراق كأحد أوجه تأثيراتها في الساحة العراقية، خاصة أن العراق لازال يمارس ديمقراطية صناديق الاقتراع في الانتخابات البلدية في العشرين من نيسان/أبريل ٢٠١٣ لاختيار مجالس المحافظات، والانتخابات البرلمانية في عام ٢٠١٤.

تلك التطورات ترى فيها دول الخليج العربية بأنها محفزات للحراك الداخلي الشعبي الخليجي، خاصة بعد الثورات العربية عام ٢٠١١، لذلك يمكن أن تستمر محاولاتها للتأثير على المشهد العراقي بأدوات الغزو الثقافي، والعملة إلى مستوى انكشاف الساحة العراقية للارادة الخليجية مادام العراق يعيش مرحلة انتقالية بعد الانسحاب الامريكي، مما يجعل سيادته معرضة للاختراق الخليجي كأحد أوجه تأثيراتها إلى جانب الارادات الاقليمية، والدولية الأخرى.

ويتناغم مع هذا التوجه الخليجي لتوظيف الغزو الثقافي، والعملة، لادراكها أنه مع ((انتشار العملة، أخذت السيادة الوطنية تتقهقر، وتنكمش،

بالرغم من ثبات جهاز الحكم الذي زادت قوته، وهيمنتته على الشعب. لقد فقدت السيادة الوطنية أهميتها مع نشوء، ونمو العلاقات الاقتصادية، والاجتماعية التي اخترقت حدود الدول. وقد جرت العملية بسرعة متفوقة، نتيجة لاختراع الآلات التي تقوم بالاتصالات اللاسلكية، الالكترونية، عبر الاقمار الصناعية))<sup>(٣٤)</sup>.

ومما شجع دول مجلس التعاون الخليجي على المضي في توظيف الغزو الثقافي، والعملة تأثر المشهد العراقي بالتأثيرات الخارجية، ومنها التأثيرات الخليجية، بحيث أصيبت الساحة العراقية بالاحتقان، وتطور الأمر إلى ازدياد العنف، والعمليات الارهابية مع اقتراب الانتخابات البلدية سالفة الذكر، ونشوء محاولات خارجية قد تكون خليجية، لخلق نوع من الانقسام الطائفي في المشهد العراقي، واستمرار التباين المذهبي، خشية من استقرار العراق، وبدء مرحلة من الانعكاسات التي يمكن أن تصيب الساحة الخليجية، خاصة أن دول مجلس التعاون الخليجي حاولت التخلص من انعكاسات الثورات العربية عليها بأعجوبة. تلك العوامل شجعت دول الخليج العربية المضي في ستراتييجيتها لاختراق الساحة العراقية تناغماً مع توجهات العملة التي تخترق الحدود بدون إذن حكومي محلي ((مستخدمة الطرق الكومبيوترية، والتلفونات، والحوالات الالكترونية دون استشارة الحكومات المحلية)) كما أن العملة ((فرضت نفسها، وطغت على الدعاية المحلية التي كانت الدولة تستخدمها للسيطرة على الشعب))<sup>(٣٥)</sup>.

إن دول مجلس التعاون الخليجي تحاول أن تستغل وسائل العملة في ستراتييجيتها في العراق بأحسن صورة حتى ولو كانت تمس بنية المجتمع العراقي الذي وجد تاريخياً ببناء أثني، وطائفي معروف، ولكون دول مجلس التعاون الخليجي هي قريبة نوع ما من ذلك التوزيع الديمغرافي، فهي تحاول حماية

نفسها من أية تأثيرات يمكن أن يكون مصدرها العراق بفعل تفاعلات العملية السياسية له، واستمرار الممارسات الديمقراطية كالاقتخابات فيه، حيث ترى تلك الدول أنها لا تريد زج نفسها في اللعبة الديمقراطية، وإنما تسعى وبكل الوسائل الحفاظ على وضعها الراهن الذي تسود فيه القيم العشائرية، والقبلية، والوراثية في تداول السلطة، والعمل بكل الطرق لمنع تسليم السلطة لغير العوائل الحاكمة منذ مئات السنين في دولها، وعليه فهي تحشى لابل تقلق بصورة جدية مما يحدث في العراق من انتخابات، وحرآك سياسي بين مكونات الشعب العراقي ذات الصبغة الاثنية، والطائفية، لأنها تعتقد أن دولها يمكن أن تكون ساحة اختبار للتأثيرات الخارجية في مجال إعادة بناء الدولة، والامارات الخليجية الستة على وفق ما تفرزه صناديق الاقتراع، لأنه يتعارض مع بنيتها السياسية التي تقوم على التوريث، وعليه قد تلجأ دول الخليج العربية إلى ((خلق الحروب، وتجارة الاسلحة، وتنفيذ الاغراض الاستراتيجية للدول الكبرى))<sup>(٣٦)</sup> ومنها الولايات المتحدة الأمريكية التي فرضت ضغوطا مكثفة عليها لزعجها في الساحة العراقية، لان واشنطن تثق في هذه الدول بإمكانية التأثير في الساحة العراقية لتمائل مصالحها المشتركة مع واشنطن في منع المصالح الإقليمية منها مصالح إيران للتأثير في الساحة العراقية كنوع من الضغوط على طهران، أو حتى تقويض نفوذها في العراق في مواجهة المشروع الامريكى التي حاولت واشنطن زرعه في العراق ليكبر، ولينمو ليتم تصديره إلى دول المنطقة على أساس إمكانية حدوث تغيير داخلي بمساعدة العوامل الخارجية.

إن دول مجلس التعاون الخليجي تحاول من خلال وسائل الاعلام الخاصة بها أن تحترق الساحة العراقية، وتؤثر على المجتمع العراقي من خلال مخاطبة عقول المتلقين أو على الاقل تحريك بعض العواطف لاستقبال بعض الافكار التي يمكن أن تزحزح الافكار السابقة، وتجعل المتلقي يؤمن بالافكار التي

تضمنتها وسائل الاعلام الخليجية لخلق فجوة بين الطوائف، ومن ثم إمكانية حصول تصادم بين توجهات كل طائفة لابقاء الساحة العراقية في دوامة قد تعطي المجال لنشوء نزاعات طائفية وهمية، بمعنى أنها غير حقيقية، لكن قد تجعل وسائل الاعلام الخليجية منها واقع حال لدى عقول المجتمع العراقي من خلال ((العمل على ارتفاع نسبة التفاعل، والتخاطب بين المستهلك، والجهاز الاساسي المولد للخدمات، مما يستدرج رويدا رويدا شاشة التلفزيون العائلية الحالية إلى جهاز طرفي ذكي، متعدد الخدمات Multimedia وشبكة التوزيع نفسها ستندرج تدريجيا رويدا نحو شبكات رقمية، مدعمة الخدمات Rinse، وهذا ما يؤكد أن خدمات عدة ستتمحور حول شاشة التلفزيون (تلفزيون عادي) تلفزيون محوري، تلفزيون مشفر، تلفزيون حسب الاستهلاك، تلفزيون تفاعلي، فيديو، حاسوب، بنوك معلومات، فاكس، هاتف مرئي الخ))<sup>(٣٧)</sup>.

#### ب- عدم تأثير الغزو الثقافي والعولمة على العلاقات العراقية-الخليجية:-

إن إمكانية تحقيق هذا السيناريو ضعيفة، لان دول مجلس التعاون الخليجي كانت قد عبرت عن خشيتها من النموذج العراقي بعد الاحتلال الامريكي، وبدء العملية السياسية له، حيث أصبحت وقع الانتخابات العراقية على تلك الدول مدويا بالرغم من حصولها في ظل الاحتلال الامريكي، لكنها كانت تعني الكثير لها لان الدول الخليجية، بالرغم من وجود ممارسات من قبل لإجراء الانتخابات، إلا أنها مقتصرة على المجالس البلدية ولم نسمع يوما ما عن انتخاب رئيس دولة خليجية، أو رئيس وزرائها، أو حتى انتخاب مجالسها النيابية(البرلمانية)، بل على العكس من ذلك ظلت هذه الدول تدور في نظام خاص بها مع بعض الاضافات السياسية المستعارة من التجارب الديمقراطية

الغربية، إلا أن العملية السياسية في تلك الدول لازالت دون المستوى المطلوب بسبب هيمنة فئة معينة من العوائل التي تمسك زمام السلطة لمدة نازعت المئات من السنين فأى تحول في هيكلية الحكم في تلك البلدان يعتبر ثورة بحد ذاتها في تلك الأنظمة التي قد تطيح بماسكي الحكم وهي نتيجة لا ترضى تلك الدول أن تحصل، بسبب ما حصل في العراق ولاحقا ما حصل في الثورات العربية لذلك ظلت تلك الدول تخشى من نشر الممارسات الديمقراطية داخلها بفعل خارجي لان ((رجل السلطة يخاف من الحرية على شعبه، ورعيته، لانها مدعاة للوعي، واليقظة، والخروج إلى النور، والبحث عن الحقيقة، وكلها عوامل تثير للفوضى، وتمهد للثورة، والتغيير، وتستدعي تدخل الاجنبي، وتنفيذ المؤامرة الكبرى على الحكم، والنظام، والاستقرار في الدولة، والدول الكبرى))، تبدي ((حرصها على نشر الحرية، والديمقراطية لدى)) دول الخليج العربية ((في الوقت الذي تخفي فيه رعبها من هذه الحرية التي تكشف زيفها، وتفضح لعبتها الخطيرة في تنصيب الحكام، والرؤوساء، ودعمهم، وثبيت أركانهم، والسماح لهم في ممارسة اللعبة عشرات السنين وفي بيئة كهذه محاصرة بالخوف من الحرية لا يمكن أن تزدهو الحقوق، والديمقراطيات، بل على العكس سوف تنمو كل الدكتاتوريات الصغيرة، والكبيرة))<sup>(٣٨)</sup>.

إن دول مجلس التعاون الخليجي لا يمكن أن تترك الغزو الثقافي، والعودة للتأثير على الساحة العراقية، لانها تخشى من نمو التجربة العراقية التي أعطت نوع من الحرية للاقليات الاثنية، والطائفية، وهي النتيجة التي يمكن أن تنعكس عليها، لان مجتمعاتها تضم عدة أقليات مماثلة في العراق (السنة والشيعه).

وقد عبرت بعض الطوائف في تلك الدول عن رغبتها بتحسين وضعها السياسي، والاجتماعي في المحيط الخليجي مقارنة بما حدث في العراق، لكونها تشعر بالتهميش، والتغيب الفردي، كنوع من الاستحقاق الداخلي لدمج

الحرية الفردية بالحريات الجماعية التي هي ((مثل حرية الاقليات، والمجموعات الدينية تبقى رهينة فاعلية مبدأ حرية الإنسان الفرد، ولكي تكون هذه الحرية الجماعية قاعدة لبناء مجتمع حديث لا بد لها أن تكون تواسلا للحرية الفردية ونتيجتها الحتمية ذلك أن الحرية الجماعية يمكن أن تؤدي دورا عكسيا، وتجعل من الحرية الفردية ضحينها))<sup>(٣٩)</sup>.

### الخاتمة:

لقد توصلنا هنا إلى نتيجة مهمة مفادها إمكانية تأثير الغزو الثقافي، والعملة على دول مجلس التعاون الخليجي، وعلاقتها مع العراق بعد ٢٠٠٣ في آن واحد، بحيث أن تلك الدول رأت في استخدامها للغزو الثقافي، والعملة وسائل عملية لابرار، وتفعيل نفوذها في العراق، بجانب علاقاتها الطيبة معه، لابقاء ذلك النفوذ كنوع من الموازنة بين ((المطرقة والسندان)) في علاقاتها مع العراق، فهي تطور من علاقاتها الاقتصادية مع العراق، من خلال زيادة الصادرات الخليجية إلى الساحة العراقية، وتفعيل دور شركاتها العقارية، والمعمارية، وخاصة في إقليم كردستان العراق، وبعض المحافظات الجنوبية، والعاصمة بغداد، إلا أنها من جانب آخر لديها دور في التأثير على المكونات السياسية، وشرائح المجتمع العراقي، لجعل المشهد العراقي غير غائب عن سيطرتها، أو على الاقل غير مطوع من غيرها، خاصة أن الولايات المتحدة الأمريكية تدعم من النفوذ الخليجي في العراق بموازاة النفوذ الإيراني التي تخشى وتقلق منه واشنطن، حتى ولو كان ذلك النفوذ ذا طابع اقتصادي، وسياسي في إطار جهودها للتأثير على طهران، والضغط عليها لتحجيم من دورها النووي، وحتى لو كان سلميا في المنطقة مراعاة لحليفها (إسرائيل) التي تخشى من نمو، وتطور أي قوة نووية إقليمية منافسة لها في المنطقة.

### هوامش البحث

- (١) فيروز أبادي، القاموس المحيط، ٣/٣٧٢ و ٣/١٢٥، نقلا عن الغزو الثقافي: تعريفه، وأهدافه، ومناهجه، وسائله، وأثاره، بريس تطوان (المغرب)، ٢٢/١٢/٢٠١٠، ص ٥.
- (٢) المصدر نفسه.
- (٣) المصدر نفسه.
- (٤) المصدر نفسه.
- (٥) المصدر نفسه.
- (٦) د. جاسم الحريري، أمريكا والعولمة، دراسات دولية، العدد ٢٢، (بغداد، مركز الدراسات الدولية، جامعة بغداد، كانون الاول ٢٠٠٣)، ص ١٠٧.
- (٧) عولمة، الموسوعة الحرة (ويكيديا)، ص ٢.
- (٨) أحمد صقر، مفهوم العولمة وصراع الحضارات، موقع الحوار المتمدن، العدد ٣٢٧٥، ١٢/٢/٢٠١١، ص ٣.
- (٩) المصدر نفسه
- (١٠) العولمة والهوية الثقافية، الموسوعة الحرة (ويكيديا)، ص ٤.
- (١١) المصدر نفسه.
- (١٢) باقر النجار، العولمة ومستقبل الاسرة في الخليج العربي، المستقبل العربي، العدد ٣٠٨، (بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، تشرين الاول/أكتوبر ٢٠٠٤)، ص ١٣١-١٣٢.
- (١٣) خلدون النقيب، واقع ومستقبل الاوضاع الاجتماعية الخليجية، في جميل مطر وآخرون، الخليج العربي: رؤى المستقبل، (الشارقة، دار الخليج (وحدة الدراسات)، ٢٠٠١)، ص ١١٨. نقلا عن المصدر نفسه، ص ١٣٢.
- (١٤) حميد قهوي، الكاتب العربي والعولمة: عولمة أم معاملة؟، المستقبل العربي، العدد ٣٤٩، (بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، آذار/مارس ٢٠٠٨)، ص ٥١.
- (١٥) المصدر نفسه، ص ٥١.
- (16) Deeba Haider, ((The Growing Pains of Global cities))(Master Thesis, MIT Press, 1999), p22.
- نقلا عن حسن الدين خان، الهوية والعولمة والمدينة الاسلامية المعاصرة، المستقبل العربي، العدد ٣٩٧، (بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، آذار/مارس ٢٠١٢)، ص ١٠٧.
- (١٧) مؤشرات العولمة الاقتصادية في دول مجلس التعاون، تقرير المركز الوطني للدراسات، الوسط (مملكة البحرين)، العدد ٣٣٠، ٢ أغسطس ٢٠٠٣، ص ٢.
- (١٨) المصدر نفسه.

- (١٩) د. صديق محمد عفيفي، التخصيصة والاصلاح الاقتصادي المصري، (القاهرة، مركز الاهرام للدراسات السياسية، ١٩٩١)، ص ٥٠. نقلاً عن باسمه علي أحسان داود، التخصيصة: اتجاهات التحول الى القطاع الخاص: تجارب عالمية مختارة مع الاشارة الى العراق، رسالة ماجستير غير منشورة، (بغداد، المعهد العالي للدراسات السياسية والدولية، الجامعة المستنصرية، ٢٠٠٨)، ص ٢٤.
- (٢٠) رومان فريدمان وأندريه راماتشينسكي، التخصيصة في أوروبا الشرقية، التمويل والتنمية، (القاهرة، يونيو ١٩٩٣)، ص ١٠. نقلاً عن المصدر السابق. ولمزيد من المعلومات حول التخصيصة أنظر الى أيناك محمد رشيد، التخصيصة بين النظرية والتطبيق في دول مختارة مع إشارة خاصة للعراق، رسالة ماجستير غير منشورة، (بغداد، كلية الادارة والاقتصاد، ٢٠٠٦). وكذلك أنظر خديجة جمعة مطر، التخصيصة وتأثيرها على الموازنة العامة للدولة، رسالة ماجستير غير منشورة، (بغداد، كلية الادارة والاقتصاد، الجامعة المستنصرية، ٢٠٠٥).
- (٢١) أ. د. أسعد السعدون، دور العمولة في ترسيخ استراتيجية التخصيصة في دول مجلس التعاون الخليجي، التجارية (مملكة البحرين)، ٢٠٠٩/١/٣٠، ص ٣.
- (٢٢) فؤاد صادق مفتي، مجلس التعاون لدول الخليج العربي: خولجة في مواكبة العمولة، الحياة (لندن)، ٢٠٠٨/١/٧، ص ٦.
- (٢٣) أحمد كامل البحيري، استراتيجية حلف الناتو لعمولة أمن الخليج، (القاهرة، ملف الاهرام الاستراتيجي، مؤسسة الاهرام، موقع الاهرام الرقمي، اديسمبر ٢٠١٠)، ص ٣.
- (٢٤) المصدر نفسه، ص ٤.
- (٢٥) المصدر نفسه، ص ٦.
- (٢٦) التقرير العربي الخامس للتنمية الثقافية: الاقتصاد العربي القائم على المعرفة، (بيروت، مؤسسة الفكر العربي، ٢٠١٢)، ص ٣٨٩.
- (٢٧) سيرج برولكس وأن غولدنبرغ، الانترنت وأيدلوجيا المجانية، ورد في برتران بادي ودومينيك فيدال (تحرير)، ٥٠ فكرة رئيسة لفهم أوضاع العالم ٢٠١٠، (سلسلة حضارة واحدة)، (بيروت، مؤسسة الفكر العربي، ٢٠١٠)، ص ٢٧٢.
- (٢٨) المصدر نفسه، ص ٢٧٧.
- (٢٩) العمولة: مفهوم العمولة تعريف العمولة ما هي العمولة، موقع أصوات، ٢٠١٠/٨/٣١، ص ١.
- (٣٠) أشتعال حرب: اختراق وتدمير مواقع الانترنت بين السنة والشبعة، موقع ايلاف، ٢٠٠٨/٩/٢٩، ص ٢.
- (٣١) قراصنة كويتيين يخرقون موقع رئيس الوزراء العراقي، موقع راية الاعلامية، فلسطين، ٢٠١٣/٢/٤، ص ١.

(٣٧٠)..... تأثير الغزو الثقافي والعمولة على دول مجلس التعاون الخليجي

- (٣٢) تركي الصهيل، بعد فتاوي التكفير هيئة كبار العلماء تبحث أيضا تجريم تمويل الارهاب، الشرق الاوسط(لندن)، العدد١١٤٥٧، ١١ أبريل ٢٠١٠، ص١.
- (٣٣) العراق:المالكي يحذر من مخاطر الفتاوي التكفيرية، الحياة (لندن)، ١٧مارس ٢٠١٣، ص١.
- (٣٤) كمال مجيد، العمولة والدولة:دراسة لاثار العمولة على السلطة، (لندن، دار الحكمة، ٢٠٠٢)، ص٣٩.
- (٣٥) المصدر نفسه، ص٣٩-٤٠.
- (٣٦) المصدر نفسه، ص٢٢٩.
- (٣٧) د.مجد الهاشمي، العمولة الدبلوماسية والنظام العالمي الجديد، (عمان، دار أسامة للنشر والتوزيع، ٢٠٠٣)، ص١٩٦-١٩٧.
- (٣٨) د.وجيه قاسم حمقة، الربيع العربي:آمال وآلام، (بيروت، دار المحجة البيضاء للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠١٢)، ص٢٢٦-٢٢٧.
- (٣٩) المصدر نفسه، ص٢٢٩.